



@Tafsircenter

من بحوث المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية

المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

د. عادل رشاد غنيم

www.tafsir.net



المنهج السياقي

وأثره في تطوير دراسات التفسير

بحث مقدم

للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

١٤٣٤/٦ - ١٤٣٤/١٢ - ٥٢٠

إعداد

د. عادل رشاد غنيم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

السيرة الذاتية

الاسم: د. عادل رشاد حسن غنيم

تاريخ الميلاد: الجمعة ١٣٧٢/٥/٢٢ الموافق ١٩٥٣/٦/٢

الجنسية: مصرى

البريد الإلكتروني: adilrg@hotmail.com

المؤهلات العلمية:

- ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- ماجستير في الشريعة الإسلامية- التفسير وعلوم القرآن. من قسم الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- دكتوراه في الدراسات الإسلامية - التفسير وعلوم القرآن- النظم القرآني - قسم الدراسات الإسلامية- جامعة الزقازيق.

العمل والمهام:

- أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية - جامعة الدمام.
- المشرف العام على موقع طريق الحضارة
- عضو الجمعية السعودية لعلوم القرآن

الآثار العلمية:

- ١- كيف ننجح في تعديل سلوكينا
- ٢- دليل المصلي في علاج أخطاء السهو.
- ٣- دليل الزكاة

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

- ٤- خمس خطوات في تعديل سلوك الطفل.
- ٥- الإسلام حاضرنا والمستقبل.
- ٦- التدخين بين الفقه والطب (مشترك)
- ٧- الحج بين الفقه والطب (مشترك)
- ٨- تبصرة المريض (مشترك)
- ٩- ثروة القيم

أبحاث محكمة منشورة:

- ١- الإسلام ومشكلات المسنين (مجلة مجمع البحوث الفقهية - الرياض).
- ٢- مصادر التلقى عند المسلمين (مجلة طب الأسرة والمجتمع- جامعة الملك فيصل).
- ٣- مهارات التدبر القرآني (المجلة العلمية - جامعة الملك فيصل).
- ٤- السلام الاجتماعي في الإسلام (جامعة الدمام)
- ٥- الهدي النبوى في حل الخلافات الزوجية (جامعة القصيم).
- ٦- وسائل الدعوة الوسطية في القرآن (الجامعة الإسلامية)

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

ملخص البحث

يعد السياق من أهم الأدوات المعرفية الإجرائية الحديثة التي تتوفر لها قدرٌ مهم من الكفاية العلمية الضرورية في اللسانيات المعاصرة وعلم الدلالة الحديث، فتحققت نجاحاً معتبراً في دراسة النصوص يمكن الإفاده من الكثير من آلياتها في جهود تفسير القرآن الكريم إلى جانب الأصول المبثوثة في تراثنا التفسيري.

ولاشك أن المنهج السياقي ببعديه: بعد اللغوي الداخلي والبعد المقامي الخارجي، يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقاً من العناصر التي تقوّي طريق فهمه وتفسيره والاستنباط منه؛ لأن العلم بخلفيات النصوص وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها أو ورودها يورث العلم بالمبنيات، وينفي الاحتمالات والظنون غير المراده، ويقطع الطريق على المقاصد المغرضة التي لم يُرِدَها الشارع الحكيم ولم يرِدَها، ويصحح ما اعوج من أساليب التطبيق، كاقطاع النص من سياقه والاستدلال به معزولاً عن محیطه الذي نزل فيه.

ومع وجود نظرات أصلية في تراثنا التفسيري تتحدث عن السياق، إلا أن الكثير منها لم يشكل منهجية ذات أدوات متكاملة وهذا ما تميزت به الدراسات اللسانية الحديثة التي يمكن الإفاده من كثير من دراساتها، لتطبيق المنهج السياقي في تفسير آياته، مع مراعاة خصائص القرآن الكريم باعتباره "إلهي المصدر"، و"عربي اللغة"، و"عالمي الرسالة".

وقد تناول البحث: مفاهيم السياق وأهم أنواعه، وضرب بعض الأمثلة الكاشفة لأهميته، حيث عرض - في التمهيد: بيان اصطلاح السياق بين الأصالة والمعاصرة. ثم فصل القول في أنواع السياق اللغوي وغير اللغوي.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فتناول في المبحث الأول: (السياق الأصغر) للنص القرآني.

وفي المبحث الثاني: تناول السياق الأكبر وترابط النص.

أما المبحث الثالث: في بين السياق الزمني وأثر ذلك كله في تحديد الدلالة
للنص القرآني.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

يعد السياق من أهم الأدوات المعرفية الإجرائية الحديثة التي توفر لها قدرٌ مهم من الكفاية العلمية الضرورية في اللسانيات المعاصرة وعلم الدلالة الحديث، فحققت نجاحاً معتبراً في دراسة النصوص يمكن الإفادة من الكثير من آلياتها في جهود تفسير القرآن الكريم.

والمنهج السياقي (Contextual Approach)، وإن كانت له إشارات عده في تراثنا البلاغي والتفسيري إلا أن التطورات المعرفية النوعية التي شهدتها عصرنا قد طبعت هذه المفاهيم بطبع علمي متقدم، وارتقت بها إلى خطوات نوعية وانتقلت من مجرد مفاهيم بسيطة إلى إجراءات منهجية دقيقة.

لقد كان للسياق أصوله العلمية في بعض كتابات علمائنا القدامى الذي استخدموه في فهمهم لدلالات اللفظ في النص القرآني لكن مؤلفات التفسير لم تستفد منها بشكل كاف في الكثير منها.

إنَّ المفسِّر للنَّصْ القرآني مُطالب بالبحث في علوم اللسانيات الاجتماعية، ولسانيات الخطاب، باعتبارهما أدوات ضرورية لفهم الواقع وإدراك أبعاد الإنسان. وهذه الآليات والأدوات الجديدة تُقدم من المعرف والنتائج ما تُصبح معه ضرورةً شرعيةً.

وهذه الدراسة دعوة للإفادة من إنجازات الدراسات الدلالية الحديثة

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

في تطوير الدراسات القرآنية، على النحو الذي يتفق وروح ذلك التراث، ويسمهم في كشف دلالات جديدة تقف شواهدً على عظمة الإعجاز القرآني، وروعـة ما وصل إليه علماؤنا القدامـى من إسهامـات علمـية رائـدة أكدـها العلمـ الحـديث، وكانت نواة لـلنـظرـيةـ الـحدـيثـةـ.

ويهدف هذا البحث إلى التعريف بالسياق باعتباره أداة معرفية وإجرائية حديثة حققت نجاحاً معتبراً في دراسة النصوص على اختلاف أنساقها المعرفية في حقول العلوم الإنسانية المختلفة فضلاً عما للسياق من جذور عميقـةـ في تراثـناـ التـفسـيريـ عـنـيـ بهـ جـمـعـ الـعـلـمـاءـ الـقـدـامـىـ فـيـ فـهـمـ دـلـالـاتـ الـلـفـظـ فيـ النـصـ الـقـرـآنـيـ.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في أنها تمثل استجابة لدعوة القرآن إلى تدبر نصـهـ، قال عـزـ من قـائلـ: ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بُشِّرَكُ لِيَبْرُوْءُوا مَا آتَيْتُهُمْ وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ولا شك أن المنهج السياقي ببعديـهـ:ـ الـبعـدـ الـلـغـويـ الدـاخـليـ وـالـبعـدـ الـمـقـامـيـ الـخـارـجيـ،ـ يـقـدـمـ بـيـنـ يـدـيـ فـهـمـ النـصـ الشـرـعيـ نـسـقاـ مـنـ العـنـاصـرـ الـتـيـ تـقـوـيـ طـرـيقـ فـهـمـ وـتـفـسـيرـهـ وـالـاستـبـاطـ مـنـهـ؛ـ لـأـنـ الـعـلـمـ بـخـلـفـيـاتـ الـنـصـوـصـ وـبـالـأـسـبـابـ الـتـيـ تـكـمـنـ وـرـاءـ نـزـولـهـاـ أوـ وـرـودـهـاـ يـوـرـثـ الـعـلـمـ بـالـمـسـبـبـاتـ،ـ وـيـنـفـيـ الـاحـتمـالـاتـ وـالـظـنـونـ غـيـرـ الـمـرـادـةـ،ـ وـيـقـطـعـ الـطـرـيقـ عـلـىـ الـمـقـاصـدـ الـمـغـرـضـةـ الـتـيـ لـمـ يـرـ دـهـ الشـارـعـ الـحـكـيمـ وـلـمـ يـرـمـهـ،ـ وـيـصـحـحـ مـاـ اـعـوـجـ مـنـ أـسـالـيـبـ الـتـطـبـيقـ،ـ كـاـقـتـطـاعـ الـنـصـ مـنـ سـيـاقـهـ وـالـاسـتـدـلـالـ بـهـ مـعـزـوـلـاـ عـنـ مـحـيـطـهـ الـذـيـ نـزـلـ فـيـهـ،ـ هـذـهـ أـسـالـيـبـ الـتـيـ أـخـرـجـتـ الـتـصـوـصـ عـنـ مـقـاصـدـهـاـ الـعـلـيـاـ وـدـفـعـتـ بـهـ إـلـىـ وـجـوهـ مـنـ الـمـعـانـيـ وـالـاسـتـبـاطـاتـ الـبـعـيـدةـ الـتـيـ ظـاهـرـهـاـ حـقـ وـبـاطـنـهـاـ بـاطـلـ وـجـورـ.

المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

استخدمت في دراستي المنهج الاستقرائي التحليلي وفق النقاط التالية:

- ١- الاستدلال من الكتاب والسنة الصحيحة على ما يُساق من قضايا.
 - ٢- الاعتماد على المصادر الأصلية والمراجع المعاصرة حسبما تقتضيه طبيعة البحث.
 - ٣- ترقيم الآيات، وعزوها إلى سورها داخل متن البحث.
 - ٤- تحرير الأحاديث من مصادر السنة المعتمدة.
 - ٥- توثيق المصادر في هامش الصفحة بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة، ثم بيان معلومات النشر في ثبت المصادر والمراجع.
- وخطة البحث تتضمن مقدمةً وتمهيداً وثلاثة مباحث وخاتمة على الوجه التالي:

مقدمة: عرض للموضوع وهدفه وأهميته.

تمهيد: بيان اصطلاح السياق بين الأصالة والمعاصرة.

المبحث الأول: (السياق الأصغر) للنص القرآني، ودوره في تحديد الدلالة.

السياق النصي هو النص أو الخطاب ذاته بمستوياته اللغوية المعهودة: النحوية والمعجمية والدلالية، والسياق الأصغر منه يقع ضمن وحدات دلالية أو تركيبية معينة كالآلية القرآنية مثلاً، أو ما يسبق الآية وما يلحقها من الكلمات أو الآيات.

المبحث الثاني: السياق الأكبر وأثره في تحديد الدلالة وترابط النص.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

السياق الأكبر الذي يشمل ما بين دفتري المصحف لا تحده فوائل الآيات والسور والأجزاء.

المبحث الثالث: السياق الزمني وأثره في تحديد الدلالة، السياق الزمني هو ظروف الخطاب وملابساته الخارجية ومنها ما سماه المفسرون: أسباب النزول، ويندرج ضمنها بالطبع مراعاة حال المخاطب وغرض المتكلم.

وأسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وموافقاً للمنهج السديد،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

مفهوم السياق بين الأصالة والمعاصرة

١ - دلالة السياق في المعجم:

أ- المعاجم القديمة:

السياق لغة من الجذر اللغوي (س وق)، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقاً وسياقاً) فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع^(١). وذكر التهانوي: أن السياق في اللغة بمعنى (الإيراد)^(٢).

وسياق الحديث: سرده وتنابعه، يقال: "هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتكم بالحديث على سوقه: على سرده"^(٣).

فالسياق: المتابعة^(٤) والتناسق، أي: إن المعنى لا يتبدى إلا من خلال دراسة سلسلة الكلام وتنابعه، فهو يكشف عن نظام الكلام وتناسقه وترابطه، وهو بذلك يشبه قافلة الإبل التي تسير على وفق نظام معين إلى غاية محددة. والسياق يرتبط بطرف الكلام ويسوق المعنى إلى غايته التي هي إيصال غرض المتكلم إلى ذهن المخاطب. ودلالة السياق هي الدلالة المكتسبة من سياق الكلام.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سوق).

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ٤/٢٧.

(٣) أساس البلاغة (سوق) ص ٢٢٥، ٤٨٣/٢٥.

(٤) انظر الخطاب القرآني، د. خلود العموش ، ص ٢٥

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ب- المعاجم الحديثة:

وفي المعاجم الحديثة يعرّف السياق بأنه "بيئة الكلام ومحيطة وقرآنها"^(١)، وجاء في "قاموس اللسانيات" لـ"جان ديبوا" تعريف السياق كما يأتي: "السياق هو المحيط: وهو الوحدات التي تسبق والتي تلحق وحدة معينة"^(٢).

٢- دلالة السياق في الدراسات العربية السابقة:

أ- علماء البلاغة واللغة:

عبر البلاغيون عن مفهوم السياق الحالي بما يسمى مقتضى الحال، ويربطون ببلاغة الكلام بموقفه لمقتضى الحال. ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أساس البلاغة كلها، وهي التي يجب مراعاتها في الكلام لكي يصبح بليغاً يتعدى مرحلة الإفهام، والمقام أو الحال يعني: كل ما يحيط بالكلام من ملابسات تتعلق بحال المتكلّم أو المخاطب أو موضوع الخطاب أو زمانه أو مكانه، ويطلق على هذا المفهوم في الدراسات اللغوية الحديثة سياق الحال، أي إن مفهوم سياق الحال كان واضحاً تماماً عند البلاغيين واللغويين، ولكنهم نظروا إلى السياق "نظرة معيارية لا وصفية، فأوجبوا أن يكون الكلام على صفات مخصوصة ونماذج معينة طبقاً لمقامه ومتضيئات حاليه. وهذه نظرة معيارية تعنى بتوجيه النظر نحو

(١) معجم علم اللغة النظري. محمد على الخولي ، ص ٥٧

Jean dubois et autres, dictionnaire de linguistique, larousse, paris 1989, mot contexte, p 120.

(٢)

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

ما يجب وما يجوز وما يمتنع. وهذا نهج في حقيقة الأمر يتمشى مع الأهداف التعليمية أو مقاصد رجال النقد والمعنيين بفنون القول ودرجات البلاغة.

كما اهتم علماؤنا بالسياق اللغوي، كما نجد في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) التي قامت على مفهوم السياق اللغوي أي: تتابع الألفاظ على نسق معين، وتعالقها والتئامها، واللفظ عنده لا يكتسب دلالته وقيمة إلا من السياق الذي يرد فيه، إذ "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في نفسها، ولكن لأن يُضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائد"^(١). وهذا يعني أن عبد القاهر يرى أن تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزئية أهميتها في السياق، فالسياق هو نقطة البدء، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله، وحيثئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ وعلاقتها فيه ثانياً، إذ إن معاني العبارات لا تفهم بمجرد فهم معاني مفرداتها، وإنما بموجب تحديد كيفية ترابط تلك المفردات ومعاني بموجب علاقات بنائية تشَكِّل هيكلة النص.

ويصرّح عبد القاهر بمصطلح السياق في أثناء حديثه عن سر إعجاز القرآن الكريم، إذ يرى أن العرب "أعجزُهم مزايا ظهرت لهم في نظمهم، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتْهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواععها، وفي مضرب كلِّ مثل، ومساق كلِّ خبر،

(١) دلائل الإعجاز، ص ٥٣٧.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وصورة كل عِظَةٍ وتنبيه...^(١)، وتصريحة بمصطلح السياق في قوله: (سياق لفظه) يدل على إدراكه أهمية مراعاة السياق اللغوي في بيان دلالات الألفاظ ومعرفة إعجاز القرآن، فضلاً عن مراعاة سياق الحال.

ب- علماء التفسير:

وتعد الدراسات التفسيرية تويجاً لجهود كل من أصحاب المعاجم والنحوة والبلغيين والقاد والأصوليين وغيرهم، وتنبه كثير من المفسريندور هذه الوسيلة الهامة في تفسير القرآن الكريم وصرحوا بها في كثير من الأحيان، يقول "السيوطني" «وأماماً ما لم يرد فيه نقل فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق»^(٢).

ويتميز المفسرون في تناولهم لمفهوم السياق بأنهم مارسوا هذا المفهوم في تفسير القرآن الكريم بشقيه اللغوي والزماني، مصرّحين بال المصطلح تارةً، وملّمحين إليه تارةً أخرى^(٣)، فالطبرى (ت ٣١٠ هـ) -

(١) نفس المصدر، ص ٣٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٨٣.

(٣) ينظر: (جامع البيان: ٥١٣/١، ١٣٢/٢، ١٩٩، ٥/١٥٩، ومعاني القرآن (التحاسن):

١٢٤/١، ٢٣٥/١، ٣٦٢، ٢٣٧/٢، والكشف: ٣١٨/٣، وإرشاد العقل السليم: ١

١٠٥/٢، ٨٢/٣، والتبيان في إعراب القرآن: ٢/١٨٨، ٢٤١، والجامع لأحكام

القرآن: ٣١٨/٣، ٢٧/٤، ١٧٤/١٣، والجواهر الحسان: ١، ٢٦٠، والبحر

المحيط: ١٩٦/١، وتفسير القرآن العظيم: ١/٢٦، ٣٠، ٥٣٤، وتفسير البيضاوي:

٤٢٤/٣، وفتح القدير: ١٠١/١، ١٣٨، ٣٢٤/٤، وروح المعاني: ١، ٨٣/١، ١٢٥.

.١٥٢

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

مثلاً - يشير إلى وجوب مراعاة سياق الكلام، ويرى أنه لا يجوز "صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجّةٍ يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبرٍ عن الرسول تقوم به حجّة" ^(١).

٤ - دلالة السياق في الدراسات اللغوية الحديثة:

أما اللغويون الغربيون فتعد "نظريّة السياق" هي حجر الأساس في "المدرسة اللغوية الاجتماعية" التي أسسها فيرث Firth في بريطانيا، والتي وسع فيها نظريتها اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن ثم حاول إثبات صدق المقوله بأن "المعنى وظيفة السياق" ^(٢).

إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة - تمثل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن. فقد قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فكل كلماتنا تقريباً تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظياً أم غير لفظي. فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة، كما تعد ضرورية في تفسير المشترك اللغطي ^(٣).

ولقد وسع "أولمان" مفهوم السياق فقال: "إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل - لا الكلمات والجمل الحقيقة السابقة واللاحقة

(١) جامع البيان: ج ٦ ص ٢٣.

(٢) R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. 213

(٣) انظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص ٦٦ - ٦٧.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فحسب - بل والقطعة كلها والكتاب كله ^(١).

إن علم الدلالة (Sémantique) والذي أصبح يعرف اليوم بـ "المنهج السياقي"، هو المنهج الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، واتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في "النص / الخطاب" هي التي تحديد معناها، وصرح (فيرث) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال (تسبيق الوحدة اللغوية)^(٢)، أي وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإن دراسة دلالات الكلمات تتطلب تحليلًا لأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، حيث يتحدد معنى الكلمة وفق السياقات التي ترد فيها^(٣).

أنواع السياق:

و السياق عند فيرث Firth ينقسم إلى نوعين:

أ- السياق اللغوي:

و يتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ب- سياق الحال:

ويتمثل العالم الخارج عن اللغة، بما له صلة بالحديث اللغوي، ويتمثل

(١) السابق ٦٢، وانظر: علم الدلالة العربي، د. فايز الديمة، ص ٢١٨

(٢) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص ٦٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٦٨.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام^(١).

فإن كان السياق اللغوي هو مجموع العناصر اللغوية التي تحيط بجزء من الملفوظ فإن السياق غير اللغوي أو المقام، هو مجموع العوامل غير اللغوية التي تتحدد بمقتضاه رسالة ملفوظ في لحظة معطاة في زمان ومكان معطيين^(٢)، وهذه العوامل تتصل بالمخاطب والمُخاطب وظروف الخطاب المختلفة.

ووفقاً لنظرية السياق التي تذهب إلى أن الألفاظ تستمد دلالاتها من السياقات التي تُستعمل فيها، يمكن تصنيف السياق في النص القرآني إلى ما يلي:

١- **السياق اللغوي**: يعني سياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها بين السابق من الآيات واللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولا تقطع عمّا قبلها وما بعدها. وأطلق عليه البعض (سياق النص). حيث تتوالى فيه العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك^(٣).

(١) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ١٣٥.

(٢) Christian Baylon, et Paul Fabre, la sémantique, p 138.

(٣) قرينة السياق، د. تمام حسان، ٣٧٥، بحث قدِم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب سنة ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وهذا السياق ينقسم بدوره إلى مستويين:

الأول: السياق الأصغر، وهو سياق خاص جزئي وهو الموضع القريب المحيط بالنص المفسر كالكلمة في الجملة أو الجملة في الآية أو الآية ضمن الآيات القراءة السابقة واللاحقة.

الثاني: السياق الأكبر، وهو سياق عام كلي وهو السياق القرآني بأكمله حيث إن للقرآن الكريم منهجه الخاص في التعبير ومصطلحاته المبتكرة التي لم تعهد في غيره وطريقته المتميزة التي توازن بين الإجمال والبيان والإطلاق والتقييد والعموم والخصوص ولذلك أدرك المفسرون الأوائل أنه لا غنى للمفسر عن المواءمة بين كل ثنائية منها ومن خلالها تبرز النتائج الكاملة وقد درست في ضوء السياق الشامل للقرآن الكريم؛ لأن القرآن كما قيل: يفسر بعضه ببعضًا.

٢- **السياق الزمني**، هو ظروف الخطاب وملابساته الخارجية ومنها ما سماه المفسرون: أسباب النزول، ويندرج ضمنها بالطبع مراعاة حال المخاطب وغرض المتكلم.

وينبغي تحكيم كل هذه الأنواع من السياق عند إرادة دراسة النص القرآني بمنهج سياقي متكملاً، وإنما الاقتصار على السياق التاريخي سيحوم حول النص ولا يعوده، وأماماً الاقتصار على السياق الداخلي وحده دون الالتفات إلى الأحداث التاريخية المحيطة به أو المصاحبة لنزوله فسيجعل النص بنيةً لغويةً مغلقةً تقتصر على ما تفيده الألفاظ من معانٍ ودللاتٍ.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

المبحث الأول

السياق الأصغر ودوره في تحديد الدلالة

١ - مفهوم السياق الأصغر:

السياق الأصغر هو الموضع القريب المحاط بالنص المفسر كالكلمة في الجملة أو الجملة في الفقرة، وفيه تتضح المعنى المراد من الكلمة أو الجملة من خلال موضعها^(١).

٢ - السياق الأصغر في القرآن:

السياق الأصغر يأتي محدوداً ضمن وحدات دلالية أو تركيبية معينة الجملة في الآية أو الآية ضمن الآيات القراءية السابقة واللاحقة، وهذا كان موضع اهتمام أكثر من قبل المفسرين.

٣ - أهمية السياق الأصغر:

لقد لاحظت الدراسات اللسانية أن للكلمة أكثر من معنى سواء أكان هذا المعنى حقيقةً تصريحيّاً أم كان مجازياً إيمائياً^(٢)، ولا يمكن استخراج المدلول المقصود من بين المدلولات المحتملة إلا بعرض الكلمة على السياق. يقول (فندريليس): "والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها

(١) ينظر p 120 dictionnaire de linguistique , p 120

(٢) علم الدلالة، بيير كيرو، ص: ٦١

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدلّ عليها^(١).

ومن قديم أشار علماؤنا إلى أهمية السياق أو المقام وتطليبه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة "لكل مقام مقال". فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما^(٢). لذا يتعين عرض اللّفظ القرآني على موقعه لفهم معناه ودفع المعاني غير المراد^(٣).

ونص ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) على أن السياق "يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقيد المطلق، وتنوع الدلالة وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتalking، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته"^(٤).

كما تبدو أهمية السياق في التفريق بين معاني (المشترك اللغوي)، وهو "اللّفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"^(٥)، فالتحديد الدقيق لدلالة هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق^(٦).

(١) اللغة، فندريس، ص ٢٣١.

(٢) انظر: النحو والدلالة ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ص ٩٨.

(٣) انظر: منهج السياق في فهم النّص د. عبد الرحمن بودرع، ص ١٤

(٤) بدائع الفوائد ابن قيم الجوزية، ج ٤، ص ٩-١٠. ويبدو أنه نقله عن أستاذه ابن تيمية، انظر: أصول التفسير، أحمد ابن تيمية، ص ٩٣.

(٥) المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٣٦٩.

(٦) انظر: ظاهرة المشترك اللغوي ومشكلة غموض الدلالة للدكتور أحمد نصيف الجنابي ٤٠١ - ٤٠٠

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

إن كل كلمة تحتمل معاني مختلفة بعضها ذات دلالات مرکزية، وبعضها ذات دلالات هامشية، وتنجلى وظيفة السياق في تحديد إحدى الدلالات المحتملة، ولو خلت الكلمة المفردة من أية دلالة لبطلت وظيفتها في السياق، فضلاً عن أنه إذا لم يكن للكلمات معنى خارج السياقات لاستحال جمع أي قاموس.

ويقتضي منهج التفسير اللغوي السياقي ألا يقتصر المفسّر على دلالة الكلمة بل يُجاوزها إلى تركيب الكلام.

٤- أمثلة في أثر السياق الأصغر في تحديد الدلالة:

١- بيان المراد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَعَاهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]. يقول المفسّر أبو حيان النحوي الأندلسي عند تفسيرها: "طَوَّلَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ هَذِينِ الْهَمَّيْنِ"، وَنَسَبَ بَعْضُهُمْ لِيُوسُفَ مَا لَا يَجُوزُ نَسْبُهُ لِآحَادِ الْفَسَاقِ، وَالَّذِي أَخْتَارَهُ أَنْ يَوْسُفَ السَّيِّدُ الْمُكَفَّلُ لَمْ يَقُعْ مِنْهُ هَمٌ بِهَا الْبَتَّةَ، بَلْ هُوَ مَنْفَيٌ لِوُجُودِ رَؤْيَا الْبَرَهَانِ، كَمَا تَقُولُ: لَقَدْ قَارَفْتَ لَوْلَا أَنْ عَصَمَكَ اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: إِنْ جَوَابَ "لَوْلَا" مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ دَلِيلٍ عَلَى امْتِنَاعِ ذَلِكِ... بَلْ نَقُولُ: إِنْ جَوَابَ "لَوْلَا" مَحْذُوفٌ لَدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ جَمِيعُ الْبَصَرِيِّينَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ: "أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ"، وَلَا يَدْلِلُ قَوْلُهُ "أَنْتَ ظَالِمٌ" عَلَى ثَبَوتِ الظُّلْمِ... وَالَّذِي رُوِيَّ عَنِ السَّلْفِ لَا يَسْاعِدُ عَلَيْهِ كَلَامُ الْعَرَبِ... وَقَدْ طَهَرْنَا كَتَابَنَا هَذَا... وَاقْتَصَرْنَا عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ لِسَانُ الْعَرَبِ وَمَسَاقُ الْآيَاتِ^(١)؛ فَهُوَ

(١) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف ج ٦ ص ٢٥٨.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

يرى أن المعنى الصحيح في نفي الهم عن يوسف عليه السلام، يبيّنه تركيب الكلام كما ورد على أصله، ولا معنى للقول بخروجه عن ترتيبه.

ومع أن أبو حيان استند في قوله إلى مساق الآيات، لكنه افترض أن جواب لولا محفوظ لدلالة ما قبله عليه، وهذه الافتراض فيه نظر فالحقيقة - فيما أراه - أنه لا حاجة لتقدير محفوظ بل أقول إن نفي الهم عن يوسف عليه السلام يعد خلاف ما أثبته السياق، ولا ينقص من قدر النبوة أن تخطر في النفس خواطر ثم تقف عند هذا الحد دون أن يستجib فعلياً لنداء الغريزة، فالآلية تصور نهاية موقف طويل من محاولات الإغراء، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم.. وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف؛ ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة.. ولكن السياق القرآني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتراغبة؛ لأن المنهج القرآني لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك^(١).

ومثال آخر في دور السياق في كشف المراد في قوله تعالى: ﴿أَيُّوبُ أَهْدَيْتُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ تَخْلِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَهْرٌ لَهُ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ وَلَهُ دُرْرِيَّةٌ ضَعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [٢٦٦] [البقرة: ٢٦٦]

روى البخاري عند تفسير هذه الآية: عن ابن عباس قال: قال عمُر

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ج٤، ص ٣٠١.

المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَّلْتُ: ﴿أَيَوْدُ أَحْدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةً﴾؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَعَضَبَ عُمَرُ. فَقَالَ: قُولُوا: نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ: وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ. قَالَ عُمَرُ: عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ. قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهِ^(١).

إن الآية التي أشكل معناها على عمر رضي الله عنه لم تكن بسبب غموض مفرداتها، ولكن في القصد الذي سيقت له، وبين له ابن عباس رحمه الله عنه أن الآية ضربت مثلاً، ولو تأملنا السياق السابق على الآية لوجدنا قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالْأَذَى كَمَا ذَرْتُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُوْمَنُ بِاللَّهِ وَأَيُّوْمٍ الْأَخْرِ فَمُثْلُهُ كَمُثْلِ صَفَوَانِ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَأَبْلَى فَرَكَّهُ، صَلَدَّا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَفَّارِ ٢٦٤﴾ وَمُثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْغَاهُ مَرْضَاتٍ اللَّهُ وَتَبَّيَّنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمُثْلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَأَبْلَى فَعَاثَتْ أَكْلَهَا ضَعَفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَأَبْلَى فَطَلَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ [القرآن: ٢٦٤-٢٦٥].

إن الآية الأولى كانت في النهي عن إبطال الصدقات بالمن والأذى، وضربت مثلاً صريحاً لذلك وضربت الآية الثانية مثلاً صريحاً آخر

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: «أَيَوْدُ أَحْدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةً»، برقم: ٤٥٣٨.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

للمتفق ابتعاء مرضاعة الله، وتلا ذلك مثل غير صريح على التحذير من المُن والأذى والرياء في إحباط العمل.

٢- تعين المقصود بالمضمرات ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَأَجَمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبَّنِي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] ، القول هنا لمن؟ الذي يرجحه السياق أن القول هنا لامرأة العزيز وليس من قول يوسف^(١)؛ لأن السياق يفيد أن كلام يوسف عليه السلام قد انقطع، وابتداً كلام امرأة العزيز في جمل متصلة، أمام الملك، ولم يكن يوسف حاضراً معها في ذلك الوقت، ولكنه استدعي فيما بعد؛ قال ابن كثير: "تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتمنّى، ولهذا راودته؛ لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربها، أي إلا من عصمه الله تعالى، إن ربى لغفور رحيم وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنساب بسياق القصة ومعاني الكلام"^(٢).

٣- دفع الوهم والخطأ في تفسير بعض الآيات بالظاهر تفسيراً يتعارض وحقيقة معناها، تفسير لفظ "التهلكة" في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتَّهْلِكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] باقتحام ميادين القتال ومنازلة العدو، ومن ذلك ما روی عن المغيرة^(٣)؛ قال: بعث عمر بن الخطاب جيشاً فحاصروا أهل حصن وتقىدم رجل من بجيلة فقاتل فُقِيل فأكثر الناس فيه يقولون:

(١) تفسير ابن كثير، ٤٨٢/٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤٨٢/٢.

(٣) تفسير الطبرى، ٣٢١/٢.

المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

ألقى بيده إلى التهلكة، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: كذبوا، أليس الله عز وجل يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَكَاهُ مَرْهَسَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ، فأنت ترى كيف أنّ عمر رضي الله عنه صاحب ما علق بأذهان الناس من معنى هذه الآية، وذلك بوضعها في سياقها.

لقد وردت هذه الآية في سياق معين لا ينبغي عزلها عنه والاستدلال بها على ظاهر اللفظ؛ فإن الاستدلال بها مقتبسةً من القرآن الكريم إخراج لها من سياقها الذي وردت فيه وإكراه لها على إفاده معنى لا تعنيه؛ فقد وردت مسبوقةً بآيات في القتال وعدم إمساك اليد عن الإنفاق؛ لأن الإمساك هو متنه التهلكة؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَاتَلُوكُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيُكُونَ الَّذِينَ لَهُ فَإِنَّ أَنَّهُو أَفَلَادُ دُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٩٣] الشهر الحرام يا شهـر الحرام والحرمة قصاص
 فَمَنْ أَعْتَدَنَا عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُنَا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَنَا عَلَيْكُمْ وَأَتَقْوُا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [١٩٤] وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
 [البقرة: ١٩٣-١٩٥]. ففيه الأمر بالإنفاق في سبيل الله أي في طريقه الذي أمر أن يسلك فيه على عدوه من المشركين لجهادهم؛ فإن الله يعوض المُنْفَقِينَ أجراً ويرزقهم عاجلاً، فإن تركوا النفقـة عرضاً للجهاد للخطر؛ لأنه يحتاج إلى تجهيز بالمال والعتاد، ولذلك سمي البخل هلاكاً وتهلكةً، وهو في الأصل انتهاء الشيء إلى الفساد، ثم يأمر الله الأمة بالمزيد من البذل والعطاء: «وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

٤- كشف حقيقة الدلالة، إذ قد يدل الظاهر اللغوي على معنى إلا أنه يعود ناقصاً بالنسبة لواقع المعنى الحقيقي، يقول الإمام الزركشي: "ومن أحاط بظاهر التفسير وهو معنى الألفاظ في اللغة، لم يكف ذلك في فهم حقائق المعاني، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنِكَرَ اللَّهُ

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

رمي [الأفال: ١٧] ، فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة، فإنه إثبات للرمي ونفي له، وهم متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمي من وجهه، ولم يرم من وجهه^(١). مما يسبق الآية - أو الكلمة - أو يلحقها يشكل جزء من معناها الذي لا يتم إلا بمعترفه والإحاطة به، ويدخل ضمن القراءن اللغوية التي تتصل بالنص - أي في الآية نفسها - ويظهر به المعنى المراد، ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لِكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. إذ لو ترك النص دون قرينة (من الفجر) لأصبح مفهومه غير واضح، وغير محدد، وقد حدث هذا حيث إنه لما نزلت الآية كان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيّن زيهما، فأنزل الله تعالى ذلك (من الفجر)، فعلموا أنه يعني الليل والنهار. فكلمة (من الفجر) قرينة لغوية أظهرت المعنى المقصود من الآية وأوضحت المراد بها.

ومع أهمية سياق الجملة أو السياق الأصغر إلا أنه غير كاف في الرؤية الكلية للمعنى وترتبط دلالاته في النص، وهذا يدعونا إلى أن نلتزم مفهوم كلية النص بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة فيما يسمى بالتتابع أو التوالي الجملي للنص، فإذا كان التوجّه إلى الحكم على الدلالة الجزئية في جمل مفردة معزولة عن سياقها ممكناً ومقبولاً، فإنه غير صحيح ومحدود القيمة وقاصر إذا ما أريد تحديد دلالات مجموع الجمل التي تشكّل أبنية النصوص، إذ إن النص لا يجوز وجوداً مستقلاً

(١) الزركشي، البرهان، ج ٢، ص ١٥٥.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

تركيباً أو دلالة لعناصره حيث لا تكون القيم الجزئية ذات اعتبار كبير إلا باشتراكها في القيمة الكبرى التي تشكل جوهر البنية الكلية للنص^(١).

إن دلالة الجملة بمفردها لا تقدم سوى القليل بالنسبة لما يقدمه النص فهي "لا تتحقق ترابط النص"، من جهة أنه سلسلة متابعة من الجمل يكون بينها ترابط دلالي^(٢)، وبالتالي فنحن بحاجة أيضاً إلى الانتباه إلى السياق الأكبر وهو سياق النص الأكبر، ليتحقق التكامل في فهم المعنى القرآني، وهو موضوع المبحث التالي.

(١) ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدى، سعيد بحيري، ص ٤٠.

(٢) نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، مصطفى النحاس، ص ٩.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

المبحث الثاني

السياق الأكبر وأثره في تحديد الدلالة وترابط النص

١ - مفهوم السياق الأكبر:

السياق الأكبر هو النسق الذي يتعلّق بالنص بكماله ذلك أن الجملة في النص لا تُفهم في حد ذاتها فحسب، وإنما تسهم الجملة الأخرى في فهمها، وهذا يبيّن أنَّ الجملة ليست وحدتها التركيب الذي نحدد به المعنى، وإنما نحدد المعنى أساساً من خلال النص الكلي الذي تتضامن أجزاؤه وتتَّزَرُّ^(١) وهذا ما تؤكده اللسانيات الحديثة.

٢ - السياق الأكبر في القرآن:

هو شامل لما بين دفتري المصحف لا تحدده فواصل الآيات والسور والأجزاء، فالجملة المجردة تحتاج إلى جاراتها من الجمل حتى تتضح دلالتها ووضوحاً كاماً، وحتى يتحقق الإخبار والإعلام المقصود من وجود النص^(٢). ولم يغب عن بعض علمائنا القدامى أهمية النظرة إلى النص الكلي، يقول الزركشي: "عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"^(٣).

(١) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص ١٤٠.

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج ١ ص ٥١.

(٣) البرهان، ج ١ ص ٣٩.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

٣- أهمية مراعاة السياق الأكبر:

والانتباه إلى السياق الأكبر أو الكلي للنص يحقق لنا الكثير من الدلالات المهمة نذكر منها:

أ- بيان معنى دقيق أو تخصيص نص مطلق أو تبيان ما أشكل فيه الغرض والقصد، يقول السيوطي: "من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في موضع فقد فسر في موضع آخر^(١)"، وهي إشارة إلى قاعدة ذهبية مضبوتها أن أفضل طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن^(٢). كما أنه إشارة "للسياق الأكبر أو العام" وهو الإجراء الذي تسميه اللسانيات المعاصرة "الناظم المنهجي" أو الذي تسميه بعض مدارسها "الرؤى المبنية"، وهذا يتضمن أن المعنى (أو الدلالة) ينبثق من داخل النص ولا يفرض عليه من الخارج.

وطريقة تفسير القرآن بالقرآن هي ما يعرف لدى المحدثين بالقابلة السياقية أي أن تقابل السياقات ببعضها بعضًا ليتضح المعنى من مجموعها، ويزول ما قد يبدو بينها من تعارض معنوي، وهذه الطريقة عدّها العلماء من أصح طرق لتفسير القرآن الكريم، يقول "ابن تيمية": «...أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان بسط في موضع آخر»^(٣).

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج٢ ص ٢٢٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي ج ٢ ص ١٧٥.

(٣) مقدمة في التفسير، ابن تيمية، ص ٣٦٣.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وفي البيان النبوي مثال على ذلك فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عما لم يفهموا معناه؛ لاسيما ما أشكل عليهم ظاهر عبارته، كما سألوا عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُوْا إِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فقالوا: يا رسول الله، أَيُّنَا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿لَا شُرِكَ بِاللَّهِ إِنَّهُ أَشِدُّ الْظُّلْمِ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].^(١)

بـ-بحث خاصية التكرار والتنويع في الكلمات أو الجمل، وهو ما عُرف بعلم المتشابه. وقد صنف فيه العلماء ومنهم الكرماني كتاب "البرهان"، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي الأصبهاني (ت. ٤٢٠ هـ) كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل"، وأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغناطي (ت. ٧٠٨ هـ) كتاب "ملاك التأويل". والمتشابه هو إيراد القصة الواحدة في صورٍ شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإيتائه على ضروبٍ ليعلمهم عجزهم عن جميع ذلك.^(٢).

جـ- استخلاص وجوه الترابط في النص: كشف الارتباط المتناسق بين السور وبين الآيات، في السورة الواحدة، بل يتكون حتى بين أحرف الكلمة الواحدة، حيث «نجد في تراكيب حروف الآيات وتألفها، تنسقاً

(١) انظر: المتشابه "البرهان في علوم القرآن" للزرκشي، ١١٥٢/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَيَّنَا لِقَمَنَ الْحِكْمَةَ أَنَّ أَشَكَّرَ لِلَّهِ﴾ حديث رقم: ٣٤٢.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

عجبياً وتناسباً وطيداً شديداً، كتناسق الآيات وتناسبها وترابط السور وانسجامها وتكاملها»^(١).

لذلك «فإنَّ تغيير حرف بحرف أو كلمة بكلمة، أو أي تغيير في تركيب الآية يغير المعنى المراد، تغييراً قد لا يفهم معه شيء من المعنى المراد، وهذا ما ينبع عن ترابط وتلاحم دون كل ترابط»^(٢).

وخاصية الاتساق والترابط، من أهم خصائص النص التي كشفت عنها اللسانيات الحديثة، فـ«النص متوج مترابط، متسلق ومنسجم، وليس تتابعاً عشوائياً للفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية... والاتساق من الشروط الأساسية لبناء نصية المعنى... ولا تستقيم نصية القطعة إلا بانسجامها وهذا يتأنى عن إدراج النص ضمن إطاره السياقي ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص»^(٣).

إن أهمية دراسة السياق الأكبر تتضح في أنها تستبعد النظرة التجزئية، التي قد تحول دون فهمه، بل قد يترتب عليه إخفاء لما أنزل الله: كما قال تعالى ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ٦٠﴾ [الحجر: ٩٠-٩١]، وتعضيin القرآن: تجزيئه وتقطيعه أجزاء والإيمان ببعضه دون بعض.

(١) محمد العيد ر蒂مة، دراسة لغوية لمفهوم الآية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، ١٩٩٢، ص ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٣) جان ميشال آدم، قراءة في اللسانيات النصية، عرض خولة طالب الإبراهيمي، مجلة اللغة والأدب، العدد ١٢، شعبان ١٤١٨ هـ، ديسمبر ١٩٩٧، معهد اللغة العربية وأدابها، جامعة الجزائر، ص ١١٨.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

٤ - علم المناسبة:

وقد تنبه لفيف من المفسرين إلى ظاهرة الترابط والاتساق في النص القرآني، في حديثهم عن المناسبة يقول "السيوطري": «المناسبة في اللغة كالمشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى رابط بينها عام أو خاص أو عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمبين والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه، وفائده جعل أجزاء الكلام أخذ بعضها بأعنق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله كحال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»^(١).

وإدراك المفسرين لخاصية الاتساق والترابط في النص القرآني جعلهم يبحثون عن العلاقة بين الآيات والسور المتواالية، والواقع أن المفسرين أثناء تسؤالهم وإجابتهم عمّ عطفت عليه الآيات أو عمّ يعود إليه الضمير أو الإشارة... يخوضون في المناسبة بين الآيات وبين عناصر داخل نفس السورة.

أما تناسق الآيات داخل السورة نفسها وداخل القرآن الكريم كله، فيعرف بطريق النظر في الغرض الذي سبقت له السورة، وما يحتاج إليه ذلك الغرض من مقدمات.... فهذا هو الأمر الكلّي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن^(٢).

(١) السيوطري، الإنفاق في علوم القرآن، ص ١٠٨ . وينظر كذلك: معرك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد علي البيجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ج ١، ص ٥٧ .

(٢) ينظر: السيوطري، معرك الأقران، ج ١، ص ٦٢ . والإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١١٠ .

المنهج السياقى وأثره في تطوير دراسات التفسير

وبذلك تغدو السورة القرآنية كلّها نصاً متجانساً ومتراابطاً تلتحم فيه الأجزاء وتترابط عناصرها لتهدي وظيفة عامة تتساوق وغرض السورة العام، وقد لاحظ علماء القرآن والمفسرون هذا الأمر ونقل "السيوطى" عن الإمام "الرازى" قوله وهو يتحدث عن أطول سورة في القرآن الكريم - أي سورة "البقرة": « ومن تفكّر في لطائف هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أنَّ القرآن الكريم كما أَنَّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته»^(١).

وعُمّم "السيوطى" هذا الحكم - أي تلامِح أجزاء القرآن وترتيبها على سورة "البقرة" و"النساء" و"المائدة" فقال: «وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجد كذلك، وإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط»^(٢).

ويعد «السيوطى» من القلائل الذين عنوا بمسألة الترابط وتطبيقاته في «أسرار ترتيب القرآن» الذى ينطلق من تناسب سور القرآن وانسجامها، فمحوى وموقعًا؛ فالسورة الأولى تفضي إلى الثانية، والثانية إلى الثالثة وهكذا، حتى السورة الأخيرة، التى تعود فتشير مرة أخرى إلى السورة الأولى وذلك من خلال ما يلى:

أولاً: تحديد «الغرض» الكلي الذي سيقت له السورة، و«الغرض» هنا

(١) السيوطي، مترك الأقران، ج ١، ص ٥٦. وينظر في هذه النقطة بالذات: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٩ هـ، ١٩٦٠ م، ص ١٥١.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٠٩.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

يعني الدلالة المستخلصة من مجمل الموضوعات، فـ«الغرض» هو خلاصة الموضوعات أو القصص والأحكام التي تتناولها السورة، وقد يكون جملة محورية تلتقي حولها أجزاء الخطاب، وقد يستخلصه المتلقى، وهو في كلا الحالين ضرب من التفسير والتأويل، فـ«الغرض» ذو طابع دلالي، وهو ناتج تفاعل المتلقى مع الخطاب. ومن الواضح أن حديث «السيوطني» عن الغرض الكلي لا يختلف نثراً عن مفهوم البنية الكلية عند «فان دايك»، كما أن أولوية «الغرض» عند «السيوطني» تتفق مع أولوية الكشف عن البنية الكلية وتحديدها عند «فان دايك»، فالتحليل النصي، في الدرس الغربي «يبدأ من الكشف عن البنية الكبرى Macro-structure المتحقق بالفعل. والتي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام والتماسك^(١). وإذا كان الغرض ناتج تفاعل المتلقى مع الخطاب، فإن هذا يسم البنية الكلية أيضاً؛ فتفسيراتها تختلف باختلاف المتلقين»^(٢).

ثانياً: وهذا «الغرض» هو محور الرسالة التي ينطوي عليها النص أو التي يريد بها التأثير في متلقيه، وـ«الغرض» يتكون من مقدمات / موضوعات مختلفة تؤسس له وتشكله، أو كما يقول السيوطني أعلاه: «وتتظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات».

ثالثاً: ومن المؤكد أن بعض هذه المقدمات ستبتعد دائرة - دون أن تقطع - عن «الغرض» وبعضها الآخر سوف يتصل أو يتطابق معه، وهذا يعني أن علينا أن نستكشف العلاقات القائمة بين المقدمات قريباً

(١) معرك الأقران، السيوطني، ص ٦٢.

(٢) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ص ٩٤

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

وبعدها والغرض أو المطلوب، كما ينصُّ السيوطي: «وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب»، وهذا يعني أننا قد نعيد الكرَّة مَرَّة أخرى، فننظر في الغرض الذي ارتأيناه في ضياء هذه العلاقات التي استكشفناها. فالعلاقة بين المتلقِّي و«الغرض» و«المقدمات» تتسم بالتفاعل الذي يؤول في نهاية الأمر إلى انسجام النص.

رابعاً: لهذه المقدمات/الموضوعات هدف تداولي، يتخطى انسجام الخطاب عبر الارتباط بـ«الغرض»، وهو التأثير في المتلقِّي، أو بتعبير «السيوطي» «استشراف نفسِ السامِع» كي تتنزل المقدِّمات أو الهدف منها من المخاطب متزلاً يتمكُّن به الخطاب من التأثير فيه كي يستجيب «إلى الأحكام واللوازم التابعة له». أي أن الهدف النهائي له طابع تداولي، يهدف إلى التأثير في سلوك المتلقِّي.

وبهذه الخطوات الإجرائية تتحقق كلية النص، وينسجم عالمه، أو كما يقول السيوطي: «فهذا هو الأمر الكلائي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته بين لك وجه النظم مفصلاً بين آية وآية في كل سورة وسورة». والأمر الكلائي لا يقف مقابلاً للأمرِ الجزئي، ولكنه ناتج تفاعله ومحصلة تراكبه، فـ«النص» أو «الخطاب» لا يقابل «الجملة»، ولكنها تكونه، ولا شك أن تجاوز «حدود الجملة في التحليل يسمح بطرح إمكانات متعددة للفهم وفضاءات أرحب في التفسير»^(١).

(١) دراسات لغوية تطبيقية في البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، ص ٩٣
وانظر مقارنة بين نحو الجملة ونحو النص في: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ٨٨ وما بعدها.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

٥ - أمثلة لمراعاة السياق الأكبر:

أ- إن دراسة مواطن التقديم والتأخير وطرق "نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلّم حسب أهميتها"^(١) توضح الكثير من القيم البلاغية والدلالية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا أُولَدَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقٌ هُنَّ عَنْ نَرْزُفُهُمْ وَإِنَّا كُلُّنَا إِنَّ قَاتَلُهُمْ كَانَ خَطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ، أي خوفٍ إقتارٍ وفقرٍ، في حالةٍ، وهو إخبار عن العرب؛ لأنهم كانوا يهدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار والعائلة، فوعظهم الله في ذلك وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله. فالآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده؛ لأنه نهى عن قتل الأولاد، كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث، خلافاً لما كان عليه أهل الجاهلية من عدم إيراث البنات ومن قتلهن، فنهى الله تعالى عن ذلك وقال: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا أُولَدَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقٌ﴾ أي خوفٍ أن تفتقرروا في ثاني الحال، ولهذا قدّم الاهتمام برزقهن فقال: ﴿هُنَّ عَنْ نَرْزُفُهُمْ وَإِنَّا كُلُّنَا﴾ . أمّا في سورة الأنعام فنجد قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا أُولَدَكُمْ مِنْ إِمْلَقٌ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فقد قدّم رزق الوالد على الولد، وهو خطاب للقراء المقلّين، أي لا تقتلوهم من فقرٍ بكم؛ فحسن «نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ» أي نرزقكم ما يزول به إملاقكم، ثم قال: «وَإِنَّا هُمْ» أي نرزقكم جميعاً، خلافاً للآية السابقة التي قدّم فيها رزق الولد على رزق الوالد؛ لأنها خطاب

(١) ضوابط التقديم والتأخير وحفظ المراتب في النحو العربي: المقدمة، رشيد بلحبيب.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

لأغنياء أي خشية فقر يحصل لكم بسببهم^(١)، والخشية إنما تكون ممّا لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم؛ لأن رزقهم حاصل؛ فكان أهّم فقدم الوعد برزق الأولاد على الوعد برزقهم^(٢).

فالفرق بين الآيتين أن الباعث على القتل في قوله «من إملاقي» الإملاق الناجز، والباعث على القتل في قوله: «خشية إملاقي» الإملاق المتوقع^(٣)، وهذا الفرق بين الآيتين إنما هو فرق بين معنيين سببهما تقديم اللفظ أو تأخيره.

ب- ملاحظة تنوع دلالة المفردات حسب موقعها من السياق الأكبر، ولنأخذ مثلاً على ذلك كلمة "كتاب" فقد وردت في مواضع قرآنية كثيرة، وكان لها معان ودلالات مختلفة ترتبط كلها بالسياق الذي وردت فيه؛ إذ ملاحظة ما قبلها وما بعدها من الكلمات والآيات كفيلة بتوجيه المفسر والباحث نحو المقصود، ونذكر هنا أشهر تلك المعاني وأكثرها وروداً في الكتاب العزيز:

- فقد وردت بمعنى: "القرآن" ونجد ذلك في مثل قوله تعالى ﴿الَّرَبُّ كَيْبَرُ أَحْكَمَتْ إِيَّنَهُ دِمْ فَصِيلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]. ووردت كلمة (كتاب) في النص القرآني بمعنى: "التوراة والإنجيل" مجتمعين أو منفردين، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، ويراد بها هنا النصارى بقرينة قوله: ﴿إِنَّمَا

(١) الإتقان، ٣٠٨/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٢٨٥/٣.

(٣) تفسير أبي السعود، ١٦٩/٥.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الْمَسِيحُ عِيسَى اُبْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [النساء: ١٧١] فهذه قرينة قوية في تخصيص هذا المعنى، وكلما اقترنـتـ كلمة "كتاب" بـ"أهل" كان معناها قطعاً اليهود والنصارى مجتمعين أو متفرقين حسب السياق. ومن الآيات التي تصرف فيها الدلالة قطعاً إلى "التوراة" قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﷺ [الأحقاف: ١٢] ، إذ المعروف أن كتاب موسى هو "التوراة" لا غيرها.

- ووردـتـ كلمة (كتاب) في النص القرآني بمعنى "كتاب الأعمال" الذي تُعرض فيه أعمال العبد يوم القيمة، ومن المواقع التي وردـ فيها هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَيَقُولُونَ يَوْمَئِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﷺ [الكهف: ٤٩] ولا شكـ فيـ أنـ منـ هذاـ المعنىـ أيضاًـ قولهـ سبحانهـ (فَإِنـ مـنـ أـوـتـيـ كـتابـهـ بـيـمـينـهـ فـيـقـولـ هـأـوـمـ اـقـرـأـوـاـ كـتابـهـ ﷺ [الحاقة: ١٩] .

- ووردـتـ كلمة (كتاب) بـمعـنىـ: "الكتاب الإلهي الذي أثـبـتـ فيـهـ علم اللهـ الشـاملـ لـعـالـمـيـ الغـيـبـ وـالـشـهـادـةـ" وهذاـ معـنىـ مـقصـودـ بـهـذهـ الكلـمةـ فيـ عددـ منـ آيـاتـ الذـكـرـ الحـكـيمـ، منهاـ قولـ الحقـ تـبارـكـ وـتعـالـىـ: ﴿ مَافَرَطَنَا فِي الْكِتَبِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﷺ [الأنعام: ٣٨] إـذـ المرـادـ هـنـاـ المعـنىـ الذيـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ آـنـفـاـ وـهـذـاـ ماـ يـدـلـ عـلـيـهـ سـيـاقـهـاـ، وـفـيـ هـذـاـ منـ القرـائـنـ القـوـيـةـ الشـيـءـ الـكـثـيرـ؛ أـهـمـهـاـ سـيـاقـ الـآـيـةـ الـأـصـغـرـ نـفـسـهـ أـيـ ماـ جـاءـ قـبـلـهاـ وـبـعـدـهاـ مـبـاشـرـةـ فـيـ الـآـيـةـ: ﴿ وَمَمِنْ دَابَّةٍ فـي الـأـرـضـ وـلـأـطـيـرـ يـطـيـرـ بـجـنـاحـيـهـ إـلـاـ أـمـمـ أـمـالـكـمـ مـاـ فـرـطـنـاـ فـيـ الـكـتـبـ مـنـ شـيـءـ ثـمـ إـلـيـ رـبـهـمـ يـحـشـرـونـ ﷺ [الأنعام: ٣٨] فالـقرـائـنـ الـهـادـيـةـ إـلـيـ ذـلـكـ المعـنىـ كـثـيرـةـ مـنـهـاـ، أـنـ السـيـاقـ قدـ مـهـدـ لـهـذـاـ المعـنىـ (أـيـ الـكـتـابـ الـكـوـنـيـ الشـامـلـ الـمـحيـطـ بـكـلـ شـيـءـ)ـ بـالـحـدـيـثـ عـنـ ظـواـهـرـ

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

ومخلوقات كونية: الدابة في الأرض، الطائر يطير بجناحيه،.. ثم عرّفنا السياق أن ذلك كله مسطور في الكتاب الذي لا يفرط في شيء. وهو الكتاب الإلهي الذي أثبت فيه علم الله الشامل لعالمي الغيب والشهادة^(١).

ج- تبين العلاقة بين الوحدات المتتالية حيث تكون اللاحقة ذات علاقة بالوحدات السابقة لها، وتبين هذه العلاقة أكثر في الفواصل القرآنية، أي أواخر الآيات، يقول "الزركشي": «اعلم أن من المواقع التي يتتأكد فيها إيقاع المناسبة، مقاطع الكلام وأواخره، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن لا تخرج عن ذلك»^(٢).

ومن الآيات التي يمثل بها "الزركشي" قوله ﴿قَالُوا يَسْعِيهِ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرُكَ مَا يَعْبُدُ إَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. فإنه: «لما تقدر ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهدًا تماماً لذكر الحلم والرشد، لأنّ الحلم هو الذي يصح به التكليف والرشد حسن التصرف في الأموال، فكان آخر الآية مناسب لأولها مناسبة معنوية ويسميه بعضهم ملائم»^(٣).

وبناء على هذا فإن الفاصلة القرآنية لا يمكن تصور دلالتها إلا ضمن سياق الآية الكلّي. وأهمّ وسائل الاتساق والترابط في النص القرآني

(١) انظر: "المنهج السياقي ودوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ"، أبو محمد مسعود صحراوي، الحلقة (١) مقالة منشورة على موقع www.chihab.net

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٠٩.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٨٠.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فهي: العطف، الضمائر، الإشارة، الأسماء الموصولة.

والنتيجة التي يمكن تسجيلها هنا أنَّ السياق كان أداة مهمة في أيدي المفسرين الذين أدركوا أهميته، فاستفادوا منه في استجلاء واستنباط الدلالة، وتحليل الخطاب القرآني.

والمطلع على كتب التفسير يلحظ أن هذا النوع من السياق الأكبر لم يلق عناية كافية من أغلب المفسرين، مع أنَّ الأصل في القرآن أنه منسجم متناسب آخذ بعضه برقب بعض، وعلى الرغم مما قد يوجد من استثناءات توحِي بعدم المناسبة فإنه حُقُّ على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواعِق الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً، ولكن عليه أن يتفادى التكُلف في ذلك^(١).

إن المنهج السياقي في التفسير يمنع التأويلات الباطنية التي تجعل النص خاضعاً للقناعات والأحكام الأيديولوجية المسبقة، لا مؤسساً لها، وتكون الخطورة في أن يصبح النص تابعاً لذهن الملتقى وتوجهاته الإيديولوجية، إذ الأصل في المناهج العلمية أن النصوص هي التي تؤسس لفهم الأفكار وبناء القناعات والمعتقدات، لا العكس.

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج ١ ص ٨١.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

المبحث الثالث

السياق الزمني وأثره في تحديد الدلالة

١ - مفهوم السياق الزمني:

يراد بالسياق الزمني ظروف الخطاب والتي سماها علماؤنا: سياق الحال، أو المقام، وقالوا: [كل مقام مقال] وأسماء البعض (سياق الموقف) حيث تتواتي الأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال^(١)، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص: المتكلمين والمخاطبين...، وهذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن المراد.

وهو يدخل فيما سماه اللسانيون المعاصرلون سياق الحال الذي يمثله العالم الخارج عن اللغة بما له صلة بالحديث اللغوي، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام^(٢).

٢ - السياق الزمني في القرآن:

وللسياق الزمني مكانته في علوم القرآن؛ ينبع منه علم قائمان برأسيهما هما: «علم معرفة أسباب التزول» و«علم معرفة المكي والمدني» بالأول يتمكن المتلقى من معرفة العلاقة بين جزء محدد من النص (آية أو

(١) قرينة السياق، د.تمام حسان ٣٧٥

(٢) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ١٣٥.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

أكثر) والواقع الخارجي الذي هو سبب نزول النص، وبالثاني يتمكن المتكلمي من استيعاب السياق التاريخي والاجتماعي الذي به اختلف الخطاب المكسي عن المدني، وهذا يعني أنَّ السياق في هذا النظر يستوعب العناصر ذاتها التي انتهت إليها نظريات تحليل الخطاب المعاصرة، وربما أضاف إليها أيضاً؛ فهي تؤكد على ضرورة أن يأخذ محل الخطاب السياق بعين الاعتبار، لأنَّه يؤدي دوراً فعالاً في تحليل الخطاب، فكثيراً ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، والسياق لديهما يضم الأطراف التالية: المتكلم، والمتكلمي والزمان والمكان^(١).

وتعدُّ أسباب النزول من أهم عناصر السياق في فهم النص القرآني، وهي على الصحيح أعم من أن تكون أثراً منقولاً في دواعين السنة، فيدخل فيها كل ما يتصل بنزل الآيات وورود الأحاديث من القضايا والحوادث سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان التي صاحبت ورود النص.

ولدينا روايات النزول التي نقل إلينا الكثير منها شهود العيان من الصحابة فالبخاري ينقل قول ابن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"^(٢).

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي، ص ٥٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، برقم ٤٧١٦، ج ٤، ص ١٩١٢، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل ابن مسعود وأمه، برقم ٦٢٨٣، ج ١٦، ص ٢٣٤.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

وأخرج عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ) تفسيره قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهاز، أم في سهل أم في جبل"^(١)، وهذا القول يتحدث عن زمن ومكان وتوقيت النزول، وكلها روافد تاريخية هامة في هذا العلم.

وقد رويت أقوال مشابهة عن غير واحد من الصحابة، فقد روي عن أبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه روايات عديدة في تحديد سور والأيات المكية والمدنية، أخرجها جمع من أهل العلم في مؤلفاتهم^(٢)، وكلها تنبه على أهمية معرفة الزمان والمكان وفيمن نزلت الآيات ومن المعنى بالآيات الكريمة، وقد بدأت بعد عصر الصحابة مرحلة تأليف الكتب المختصة في علم ترتيب التنزيل والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وعلم المناسبة وغيرها.

٣- المكي والمدني:

إنّ تقسيم المفسرين لنصوص القرآن الكريم إلى قسمين هامين هما النصوص المكية والنصوص المدنية يدخل ضمن هذا الإطار، فيزيد من الإدراك للسياق المقامي وبالتحديد عنصر المخاطب الذي يختلف بين القرآن المكي والمدني، إذ القرآن المكي المقصود به - أو جل المقصود به - أهل مكة، وأكثرهم مشركون، وأما القرآن المدني فإنّ أهل المدينة -

(١) تفسير القرآن العزيز، عبد الرزاق بن همام الصناعي، ج ٣ ص ٢٤١.

(٢) المكي والمدني في القرآن، عبد الرزاق حسين أحمد، ج ١ ص ٦١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وأكثرهم مؤمنون - هم المخاطبون به، لذلك كان التعرف على مكي القرآن ومدنيه يساعد كثيراً في فهم الظروف والأحوال التي كان يعالجها القرآن الكريم في كلّ من المجتمعين المكي والمدني، كما يسهم في فهم النص^(١).

لقد اختلف الخطاب المكّي عن المدني، لاختلاف المخاطبين في كلِّ منهما، وهذا ما استشعره الرعيل الأول من الصحابة، الذين كثرت إشاراتهم إلى المقومات الأسلوبية والبنوية المختلفة للخطاب في مرحلتيه الكبيرتين، ففي تعريف «المكي» و«المدني» ينسب «الزرκشي» إلى ابن عباس رض قوله: «المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا لذلك بقوله تعالى: (يأيها الناس) وإن كان غيرهم داخلاً فيها، والغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا: (يأيها الذين ءامنوا) وإن كان غيرهم داخلاً فيهم»^(٢)، ويبدو أن هذه الإشارة لابن عباس رض قد وجهت الباحثين - قديماً وحديثاً - إلى خصوصية هذا المعطى الأسلوبي الذي به تفترق المرحلتان المكية والمدنية.

٤ - أهمية مراعاة السياق الزمني:

والمتتبع للنص القرآني يدرك أن المساقات فيه تختلف باختلاف الأحوال والأوقات^(٣)، ومن كانت أهمية دراسة السياق الزمني للآيات.

(١) ينظر: القرآن الكريم تاريخه ولغته، عبد الغفار أحمد السيد، ص ١٧٠-١٧١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ص ١٣٢.

(٣) انظر التفصيل في "الموافقات" ٣١٣/٣.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

فمعرفة الملابسات التي سبق فيها النص وجاء بياناً لها وعلاجاً لظروفها ينضبط به المراد من كلام الشرع، ولا يزول العقل في متأهات الظنون، ولا ينزلق وراء ظاهر غير مقصود... فلابد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام، وما هو مؤقت وما هو مؤيد، وما هو جزئي وما هو كلي، فلكل منها حكمه، والنظر إلى السياق والملابسات والأسباب تساعده على سداد الفهم واستقامته لمن وفقه الله تعالى.

ومن المعلوم أن النص القرآني تنزل متفرقأً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً. حيث كانت كل آية أو مجموعة آيات تتعلق بواقعة بذاتها أو برد على سؤال أو بتحدد واجه المسلمين. فالمنهج الصحيح لتفسير النصوص القرآنية هو بإعادة ربطها بأسباب التنزيل وفهمها على ضوء خلفية الواقعية التي تنزلت بشأنها، ويندرج ضمنها "مراجعة حال المخاطب" و"غرض المتكلم"^(١).

وعلم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، لا يقصد حصر فهم آيات القرآن بالتاريخ الزمني والمكاني الذي نزل به القرآن، بل يسعى إلى اعتماد هذا العلم قاعدة ينطلق منها إلى فهم أدق وأوسع وأشمل، وذلك بتحقيق معرفة حكمة نزول هذه الآيات بسبب حدث معين أو شخص أو أشخاص معينين، حيث إن العلم بمن نزل فيهم القرآن أو بسببهم أو بسبب علاقة الإسلام بهم يعين قارئ القرآن على تدبره وفهمه وتفسيره.

(١) المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي مجلة الدراسات اللغوية، مسعود صحراوي، ص ٤٢.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ومن أوائل ما صنف في هذا الموضوع كتاب أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواهي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، الذي يرى "امتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب"^(١).

وقال ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ): "ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالسبب، ولهذا كان أصح قولي للفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواف الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجهها وأثارها"^(٢).

واعتبر معرفة أسباب النزول من الضوابط المعمول عليها في الفهم، فقال: "معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران: أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يُعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حاله، وبحسب مخاطبيه، وبحسب غير ذلك.. ومعرفة الأسباب رافعة كل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب ولابد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال.

(١) أسباب النزول، الواهي، ص ٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ١١.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع..^(١).

أما من حيث التنزيل، فإن أسباب النزول والورود تمثل المنطلق لحركة النص الشرعي في الواقع، فهي أمثلة منهجية في كيفية التطبيق والتكييف للنص الديني ومضمون الوحي مع الواقع الإنساني، فتكسبنا بصيرة نافذة في الفهم والتنزيل.

إن البحث في عناصر السياق الزمني وضوابطه هو أولاً من أجل إبراز أهميتها في إحكام الفهم الديني للنص الشرعي، ثم إحكام تنزيل هذا الفهم على واقع الناس ثانياً، مع الاسترشاد في كل ذلك بالوحي وبصائره ومقاصده.

٥ - أمثلة في بيان أثر السياق الزمني في تحديد الدلالة:

١ - في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُخْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِنَهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. لما أشكل على مروان بن الحكم معناها قال ابن عباس: وما لكم ولهم «إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ يَهُودَ فَسَأَلُوكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَاهُ، وَأَخْبَرُوكُمْ بِغَيْرِهِ فَأَرْوَهُ أَنْ قَدْ اسْتَحْمَدُوكُمْ إِلَيَّهِ، بِمَا أَخْبَرُوكُمْ عَنْهُ فِيمَا سَأَلُوكُمْ، وَفَرَحُوا بِمَا أُوتُوكُمْ مِّنْ كِتْمَانِهِمْ»، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذَا خَدَّ اللَّهُ مِيشَقَ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) الموافقات، ج ٤ ص ١٤٦.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الْكِتَبُ ﴿ [آل عمران: ١٨٧] كَذَلِكَ حَتَّى قَوْلِهِ: ﴿يَقْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجْبِيُونَ أَنْ يُحْمِدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨] ^(١).

ويلاحظ أن ابن عباس رضي الله عنه بعد أن أورد سبب النزول أشار إلى أن السياق النصي أيضاً يؤكده فالآلية السابقة تتحدث عن ميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ لِتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُوا مُنْهَكُونَ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُثْنَى قَلِيلًا فِتْنَسَ مَا يَشَرُّونَ ﴾ ١٨٧ [آل عمران: ١٨٧].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا نُقْسِطُونَا فِي الْيَتَامَى فَأَنِكْحُو مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعٌ ﴾ [النساء: ٣].

قد لا تبدو العلاقة واضحة بين الخوف من عدم القسط في اليتامي وبين إباحة الزواج بأكثر من امرأة لكن سبب النزول يكشف بوضوح عن هذه العلاقة:

فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه - أنه سأله عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا نُقْسِطُونَا فِي الْيَتَامَى فَأَنِكْحُو مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعٌ ﴾
قالت يا بن أخي هي اليتيمة تكون في حجر ولديها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد ولديها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى ستهن من الصداق وأمرموا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ^(٢).

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٤٠، حديث رقم ٤٥٦٨.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٣١٣، حديث رقم ٣٠١٧.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

إذن سبب النزول كان لدفع مطامع بعض الرجال في الزواج من اليتيمات للاستحواذ على مالهن، فطلب القرآن منهم أن يتركوهن خشية الوقع في ظلمهن، وليتزوجوا غيرهن من النساء.

بقي أن ننوه أن نصوص القرآن الكريم خطاب للناس كافة لا تخص بالتكليف من تعلقت به ظروف نزولها دون غيره إلا في حالات معدودة ورد فيها تنصيص جلي على التخصيص، وهذا ما عنده جمهور الأصوليين بأن العبرة في خطاب الشرع بعمومه لا بخصوص السبب الذي كان السياق لأجله.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

إن الفهم المتتجدد للقرآن ينطلق من تأمل للنص وسياقه العام بنوعيه الداخلي والخارجي، والعلاقة التكاملية بينهما، ولا يحصل ذلك إلا بمعاينة تطبيقية للآيات بمنهج كشاف يكشف تفاصيل المعاني المحيطة بالآية، ويسمم في بناء الصورة العامة للمعنى.

هذا وقد دعا هذا البحث إلى استخدام طرق وأمثلة وإجراءات تطبيقية للإفادة من منهج السياق في فهم القرآن وتفسيره، وهو منهج لساني لغوي يُسمم في استخراج كوامن الآيات وبيان مقاصد الخطاب. من خلال الكثير من أدواته في فهم نصوص القرآن الكريم فهماً متكاملاً من خلال السياق في مستوياته اللغوية المتعددة النحوية والصرفية والمعجمية والبلاغية، التي تُرشد في فهم مراد المتكلّم ومقاصده العليا بقرائن نصية لفظية ومعنوية، ويضاف إلى السياق اللغوي الداخلي سياق آخر هو سياق الحال أو المقام.

وهذا المنهج المعاصر له أصوله في التراث الإسلامي في كثير من مباحث علوم القرآن، والمباحث النحوية والبلاغية والأصولية.

وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- يقتضي منهج التفسير اللغوي السياقي ألا يقتصر المفسّر على دلالة الكلمة بل يتجاوزها إلى تركيب الكلام وموقعها الكلمة بين السابق من الآيات واللاحق.

 المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

٢ - ودلالة الجملة بمفرداتها لا تقدم سوى القليل بالنسبة لما يقدمه النصّ فهي لا تتحقق ترابط النصّ، من جهة أنه سلسلة متابعة من الجمل يكون بينها ترابط دلالي وبالتالي نحن بحاجة أيضاً إلى الانتباه إلى السياق الأكبر وهو سياق النص الكلبي.

٣ - تعدّ أسباب النزول من أهم عناصر السياق في فهم النص القرآني، وهي على الصحيح أعم من أن تكون أثراً منقولاً في دواوين السنة، فيدخل فيها كل ما يتصل بنزل الآيات وورود الأحاديث من القضايا والحوادث سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان التي صاحبت ورود النص الشرعي.

ويوصي البحث بتوفير مشاريع بحثية لتطبيق المنهج السياقي في تفسير النص القرآني، مع مراعاة خصائص القرآن الكريم باعتباره "إلهي المصدر"، و"عربي اللغة"، و"عالمي الرسالة".

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

قائمة المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي،
الرسالة.

اللسان والميزان أو التكثير العقلي، طه عبد الرحمن ط ٢، المركز الثقافي
العربي، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٦ م.

بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العربية، بيروت.
أسباب النزول، الواحدي، عالم الكتب، بيروت.

أشكال الربط في القرآن الكريم، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين
البنية والدلالة، سعيد بحيري، زهراء الشرق، القاهرة.

البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف، بعناية مجموعة من العلماء
منهم زهير جعید وصدقی محمد جميل، ط ١، دار الفكر للطباعة
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١، دار الحديث، القاهرة،
٢٠٠٦ م.

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي
الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.

المكي والمدني في القرآن، عبد الرزاق حسين أحمد ط ١، دار ابن عفان،
١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

المنحي الوظيفي في التراث اللغوي العربي (مقالة) مسعود صحراوي، نشرت في: مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس / العدد الأول.

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

تفسير القرآن العزيز، عبد الرزاق بن همام الصناعي، تحقيق: د. مصطفى مسلم، دار العاصمة، الرياض.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

الخطاب القرآني، د. خلود العموش، الجامعة الهاشمية، عالم الكتب الحديث، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

دراسات لغوية تطبيقية في البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م.

صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ضوابط التقديم والتأخير وحفظ المراتب في النحو العربي: المقدمة، رشيد بلحبيب، ط ١، الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب، وجدة، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٨ م.

ظاهرة المشترك اللغوي ومشكلة غموض الدلالة للدكتور أحمد نصيف الجنابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، محرم سنة ١٤٠٥ هـ تشرين الأول سنة ١٩٨٤ م.

ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ م.

علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ص ٦٨، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤ سنة ١٩٩٣ م.

علم النص ونظرية الترجمة، د. يوسف نور عوض ط ١، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤١٠ هـ.

المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير

علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة.

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م.

علم النص مدخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، ط١، دار القاهرة للكتاب ٢٠٠١ م.

في ظلال القرآن، سيد قطب دار الشروق، الطبعة ٢١، ١٤١٤ هـ.

القرآن الكريم تاريخه ولغته، عبد الغفار أحمد السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦ م

لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، دار المعارف.

لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي ط٢، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٦ م.

مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرانى ت ٧٢٨ هـ، تحقيق أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء.

معترك القرآن في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٤٠٨ هـ ت ١٩٨٨ م

مقارنة بين نحو الجملة ونحو النص في النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند ترجمة: د. تمام حسان ط (١) عالم الكتب، القاهرة.

مقدمة في اصول التفسير، ابن تيمية ط٣، نشرها قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ١٣٩٧، القاهرة.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

منهج السياق في فهم النص د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، عدد، ١١١، المحرم ١٤٢٧ هـ - فبراير ٢٠٠٦ م.

نحو النص في ضوء التحليل اللسانی للخطاب، مصطفی النحاس ذات السلاسل، الكويت، ط ٢، ٢٠٠١ م.

Christian Baylon et Paul Fabre, la sémantique, nathan, paris, 1978.

R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. 213 Longman's Linguistics Library, Green and Co LTD. Second impression 1969.

R. H. Robins, linguistique général, librairie Armand Colin, Paris, 1973.

J. R. Firth: Papers in Linguistics. P. 184, London, Oxford University PRESS, Amen House, First edition 1957, Reprinted 1958, 1961 and 1964.